العَقِيدَةُ الواسِطِيَّةُ

شَيْخُ الإسْلامِ
أبُو العَبَّاسِ أحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ تَيْمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ
(٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ ليُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَهَذَا اعْتِقَادُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ المَنْصُورَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ؛ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ»:

وَهُوَ: الإِيمانُ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، والبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، والإِيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الإِيمانِ باللهِ: الإِيمانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ محمد ﷺ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تكْييفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]؛ فَلاَ يَنفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه، وَلاَ يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضعِهِ، وَلاَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ، وَلاَ يُكَيِّفُونَ وَلاَ يُمثِّلُونَ صِفَاتِه بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّه سُبْحَانَهُ لاَ سَمِيَّ لَهُ، وَلاَ كُفءَ لَهُ، وَلاَ نِدَّ لَهُ، ولا يُقَاسُ بخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَإِنَّه - سُبْحَانَهُ- أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِه، وَأَصْدَقُ قِيلاً، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ، بِخِلاَفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ،

ولهذا قال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢ ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢] فَسَبَّحَ نَفْسَه عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ المُخالِفُون للرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَى المُرْسَلِينَ؛ لِسَلاَمَةِ مَا قَالُوه مِنَ النَّقْصِ والعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَه قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّى بِهِ نَفْسَه بَيْنَ النَّفْيِ والإِثْبَاتِ.

فَلاَ عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَ بِهِ المُرسَلُونَ؛ فَإِنَّه الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، صِراطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

[الجَمعُ بَيْنَ النَّفيِ والإِثبَاتِ فِي وَصْفِهِ تَعَالَىٰ]

وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذِهِ الجُمْلَةِ:

مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورةِ «الإِخْلاَصِ» الَّتِي تَعْدِلُ «ثُلُثَ القُرآنِ» حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾.

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَه فِي أَعْظَم آيةٍ فِي كِتَابِهِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ [أَيْ: لاَ يُكْرِثُهُ وَلاَ يُثْقِلُهُ] حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥ ﴾ [البقرة].

وَلِهذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ، لَيْلَة لم يَزَلْ عليْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ ولاَ يَضُرُّه شَيَطْانٌ حَتَّى يُصْبِحَ.

[الجمعُ بينَ علوِّهِ وقُرْبِهِ وأزَليَّتِهِ وأبديَّتِهِ]

وَقولُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ [الحديد].

وَقولُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقولُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ [التحريم]. ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ ﴾ [سبأ].

[إحاطةُ علمِهِ بجميعِ مخلوقاتِهِ]

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ [سبأ: ٢]. ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ ﴾ [الأنعام].

وَقولُهُ: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ [فاطر: ١١].

وَقولُهُ: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ۝١٢ ﴾ [الطلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

[إثبات السمع والبصر لله سبحانه]

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء].

[إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه]

وَقَوْلُهُ ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴾ [الكهف: ٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

[إثبات محبة الله ومودته لأوليائه على ما يليق بجلاله]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة]. ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات]، ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

﴿يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤﴾ [الصف].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤﴾ [البروج: ١٤].

[إثباتُ اتِّصافِه بالرَّحمَةِ والمغفِرَةِ سُبحَانَهُ]

وَقولُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]. ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]. ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٦٤﴾ [يوسف].

[ذِكْرُ رِضَى اللهِ وَغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ وَكَراهِيَتِهِ وَأَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِذَلِكَ]

قَوْلُهُ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا

﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ [محمد ﷺ: ٢٨]، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

[ذِكْرُ مَجِيءِ اللهِ لِفَصْلِ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]. ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان].

[إِثْبَاتُ الوَجْهِ للهِ سُبْحَانَهُ]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن]. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

[إثباتُ اليدينِ للهِ تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

[إثباتُ العينينِ للهِ تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨]. ﴿ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر]. ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه].

[إثباتُ السّمعِ والبصرِ للهِ سبحانَهُ]

وَقَوْلُهُ: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة]. وَقَوْلُهُ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقَوْلُهُ: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف]. ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه]. ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ [العلق]. ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ

هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢٢٠]. ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

[إثْبَاتُ المَكْرِ وَالكَيْدِ للهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَلِيقُ بِهِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: ١٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وقَوْلُهُ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الطارق].

[وَصْفُ اللهِ بالعَفْوِ وَالمغفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالعِزَّةِ وَالقُدْرَةِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾ [النساء]. ﴿ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨]. وَقَوْلُهُ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص: ٨٢].

[إثباتُ الاسمِ للهِ ونَفيُ المِثلِ عنهُ]

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الرحمن].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم]. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص].

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة]. ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

[نَفيُ الشَّريكِ عنِ اللهِ تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾ ﴾ [الإسراء]. ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [التغابن].

وَقَوْلُهُ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان].

وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ

﴿فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]. ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل]. ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

[إِثْبَاتُ اسْتِوَاءِ اللهِ عَلَى عَرْشِهِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ:

فِي [سورة الأعراف: ٥٤] قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. وَقَالَ فِي [سورة يونس: ٣]: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وَقَالَ فِي [سورة الرعد: ٢] ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. وَقَالَ فِي [سورة طه: ٥] ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾، وَقَالَ فِي [سورة الفرقان: ٥٩]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾. وَقَالَ فِي [سورة الم السجدة: ٤]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾. وَقَالَ فِي [سورة الحديد: ٤]: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ﴾.

[إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللهِ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]. ﴿بَل

﴿رَفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]. ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

[الملك].

[إثباتُ مَعيَّةِ الله لخَلْقِه]

﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة]. ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾

[التوبة: ٤٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال]. ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

[إثبات الكلام لله تعالى]

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء]. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء]. ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]. ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم]. وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشعراء]. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة]. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]. ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [النمل: ٧٦].

[إثباتُ تنزيلِ «القرآنِ» منَ اللهِ تعالى]

﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢]. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]. ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

[إثباتُ رؤيةِ المؤمنينَ لربِّهم يومَ القيامةِ]

وَقَوْلُهُ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة]. ﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المطففين]. ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق].

وَهَذَا البَابُ فِي «كِتَابِ اللهِ» كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ «القُرْآنَ» طَالِبًا لِلهُدَى مِنْهُ، تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الحَقِّ.

[الاستدلال على إثبات أسماء الله، وصفاته من «السُّنَّة»]

ثُمَّ فِي «سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»؛ فـ «السُّنَّةُ» تُفَسِّرُ «القُرْآنَ»، وَتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْه، وتُعبِّرُ عَنْهُ.

وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتي تَلَقَّاهَا أَهْلُ المَعْرِفَةِ بالقَبُولِ، وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

[ثبوت النُّزُولِ الإلهيِّ إلى سماءِ الدُّنيا على ما يليقُ بجلالِه]

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ[1]: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ[2] لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[إثباتُ أنَّ الله يفرحُ ويضحكُ ويعجبُ]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) في بعض النسخ: (فمن ذلك مثل قوله ﷺ). وفي غيرها: (وذلك مثل قوله ﷺ). ولعل ما أثبته أنسب، والله أعلم.

(٢) قوله: (فأستجيب) بالنصب؛ لأنه جواب الاستفهام. ويجوز الرفع (فأستجيبُ) على الاستئناف وكذا قوله: فأُعطيه. و (فأغفر له)، من «فتح الباري» (٣/ ٣٨).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، كِلاَهُمَا يَدْخُلُ الجنَّةَ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَنُوطِ عِبَادِهِ وقُرْبِ غِيَرِهِ[٢]، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

[إِثْبَاتُ الرِّجْلِ وَالقَدَمِ للهِ سُبْحَانَهُ]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ -: عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[إِثْبَاتُ النِّدَاءِ وَالصَّوتِ وَالكَلاَمِ للهِ تَعَالَى]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ. فَيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) قوله: (كلاهما يدخل الجنة). جاء في بعض النسخ: (يدخلان)، وهي صحيحة؛ لأن (كلا) يجوز في خبرها - سواء كان فعلاً أو اسماً - مراعاة اللفظ، ومراعاة المعنى اهـ. من: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن عثيمين (ص ٤٠٧).

(٢) كذا بكسر أوله، وفتح ثانيه، والمعنى: مع قرب تغييره، أي تغيير حاله من حال شدة إلى حال رخاء. وفي بعض النسخ: (وقرب خيره). ومعناهما قريب، علماً بأني لم أجد هذا اللفظ (وقرب خيره) فيما بين يدي من المصادر التي أخرجت الحديث.
وانظر: «الفردوس بمأثور الخطاب» (٢/ ٤٣٠ - ٤٣١)، رقم: (٣٨٩٠).

وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ».

[إِثْبَاتُ عُلُوِّ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَى عَرْشِهِ]

وَقَوْلُهُ ﷺ فِي رُقْيَةِ المَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنا حُوبنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ؛ فَيَبْرأ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ؟!» حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ ﷺ لِلجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

[إِثْبَاتُ معيّةِ اللهِ تَعَالَى لِخَلْقِهِ وَأَنَّهَا لاَ تُنَافِي عُلُوَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ]

وَقَوْلُهُ ﷺ: «أَفْضَلُ الإِيمَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاَةِ، فَلاَ يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلاَ عَنْ يَمِينِهِ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ [وَالأَرْضِ][(١)] وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، ربَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَى، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ والإِنجِيلِ والقُرْآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: لَمَّا رَفَعَ الصَّحَابَةُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُم لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[إِثْبَاتُ رؤْيَةِ المُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ]

وَقَوْلُهُ: «إِنَّكُم سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[مَوْقِفُ «أَهْلِ السُّنَّةِ» مِنَ الأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ]

إِلَى أَمْثَالِ هَذِهِ الأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ، فَإِنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ ـ أَهْلَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ ـ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا

(١) ما بين المعقوفين ساقط من بعض النسخ، وهو مثبت في: «صحيح مسلم» (٢٧١٣)

أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تكييفٍ وَلاَ تَمْثِيلٍ، بَلْ هُمُ الوَسَطُ فِي فِرَقِ الأُمَّةِ، كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الوَسَطُ فِي الأُمَمِ.

[مَكَانَةُ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ» بَيْنَ فِرَقِ الأُمَّةِ]

فَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ (الجَهْمِيَّةِ)، وَأَهْلِ التَّمْثِيلِ: (المُشَبِّهَةِ).

وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ بَيْنَ «الجَبْرِيَّةِ» و«القَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ بَيْنَ «المُرْجِئَةِ» و«الوَعِيدِيَّةِ» مِنَ «القَدَرِيَّةِ» وَغَيْرِهِمْ.

وَفِي بَابِ أَسْمَاءِ الإِيمَانِ والدِّينِ بَيْنَ «الحَرُورِيَّةِ» و«المُعْتَزِلَةِ»، وَبَيْنَ «المُرْجِئَةِ» و«الجَهْمِيَّةِ».

وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ «الرَّافِضَةِ»(١) و«الخَوَارِجِ».

[وُجُوبُ الإِيمَانِ باستِوَاءِ اللهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَعُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَمَعِيَّتِهِ لِخَلْقِهِ، وَأَنَّهُ لاَ تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا]

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإيمانِ باللهِ: الإِيمَانُ بِمَا أَخبرَ اللهُ بِهِ فِي «كِتَابِهِ»، وَتَواتَرَ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَى عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ، وَهُوَ - سُبْحَانَهُ - مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ، كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ

(١) في إحدى النسخ: «الروافض».

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤].

وَلَيْسَ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾: أَنَّه مُخْتَلِطٌ بالخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لاَ تُوجِبُه اللُّغَةُ [وَهُوَ خِلافُ ما أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، وَخِلافُ ما فطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الخَلْقَ][1].

بَلِ القَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مخلُوقَاتِهِ، وَهُو مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ المُسَافِرِ وَغَيْرِ المُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ.

وَهُوَ - سُبْحَانَه - فَوْقَ عَرْشِهِ، رَقِيبٌ عَلَى خَلْقِهِ، مُهَيمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ عَلَيْهِم.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الكَلاَمِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ - مِنْ أَنَّه فَوْقَ «العَرْشِ» وأَنَّه مَعَنَا - حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، لاَ يَحْتَاجُ إِلى تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الكاذِبَةِ؛ مِثْلُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِه: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾، أَنَّ السَّمَاءَ تُظِلُّهُ أَوْ تُقِلُّهُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ العِلْمِ والإِيمَانِ؛ فَإِنَّ الله قَدْ وَسِعَ «كُرْسِيُّهُ» السَّماواتِ والأَرْضَ، وَهُوَ يُمسِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ، ويُمسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِه، وَمِنْ آيَاتِه أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ والأَرْضُ بِأَمْرِهِ.

[وُجُوبُ الإِيمَانِ بِقُرْبِ اللهِ مِنْ خَلْقِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ لاَ يُنَافِي عُلُوَّهُ وَفَوْقِيَتَهُ]

وَقَدْ دخَلَ فِي ذَلِكَ الإِيمَانُ بأَنَّهُ «قَرِيبٌ» مِنْ خَلْقِهِ «مُجيبٌ»؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

(١) ما بين معقوفين ساقط من بعض النسخ.

دَعَانِّ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة]. وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَه أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ».

وَمَا ذُكِرَ فِي «الكِتَابِ» و«السُّنَّةِ» مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

[وُجُوبُ الإِيمَانِ بِأَنَّ «القُرْآنَ» كَلاَمُ اللهِ حَقِيقَةً]

وَمِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَكُتُبِهِ: الإِيمانُ بِأَنَّ «القُرْآنَ» كَلاَمُ اللهِ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حقِيقَةً وَأَنَّ هَذَا «القُرْآنَ» الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: هُوَ كَلاَمُ اللهِ حَقِيقَةً، لاَ كَلاَمُ غَيْرِهِ.

وَلاَ يجُوزُ إِطْلاَقُ القَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلاَمِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ، بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي «المَصَاحِفِ»؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلاَمَ اللهِ تَعَالى حَقِيقَةً، فَإِنَّ الكَلاَمَ إِنَّما يُضَافُ حَقِيقَةً إِلى مَنْ قَالَهُ مُبْتَدِئًا، لاَ إِلَى مَنْ قَالَه مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَهُوَ كَلاَمُ اللهِ؛ حُرُوفُهُ، وَمَعَانِيهِ، لَيْسَ كَلاَمُ اللهِ الحُرُوفَ دُونَ المعَانِي، وَلاَ المَعَانِيَ دُونَ الحُرُوفِ.

[وُجُوبُ الإِيمَانِ بِرؤيَةِ المُؤْمِنِينَ لِربِّهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَوَاضِعُ الرُّؤيَةِ]

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الإِيمانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِمَلاَئِكَتِهِ وَبِرُسلِهِ: الإِيمانُ بِأَنَّ المُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِم كَمَا يَرَونَ الشَّمسَ صَحْوًا لَيْسَ بِهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَونَ القَمَرَ لاَ يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

يَرَوْنَهُ - سُبْحَانَهُ - وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الجنَّةِ، كَمَا يَشَاءُ اللهُ تَعالَى.

[مَا يَدْخُلُ فِي الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ]

وَمِنَ الإِيمانِ باليَومِ الآخِرِ: الإِيمانُ بِكُلِّ مَا أَخبَرَ بِهِ النَّبيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ المَوْتِ فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ القَبْرِ، وَبِعَذَابِ القَبْرِ ونَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الفِتْنَةُ فَإِنَّ النَّاسَ يُمتَحَنونَ فِي قبُورِهِم، فَيُقَالُ للرَّجُلِ: (مَنْ ربُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نبيُّكَ؟).

فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ، فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: (رَبِّيَ اللهُ، والإِسْلاَمُ دِيني، وَمُحمَّدٌ ﷺ نَبِيِّي).

وَأَمَّا المُرتَابُ، فَيَقُولُ: (هَاهْ هَاهْ، لاَ أَدْرِي، سَمِعتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ). فيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيءٍ، إِلاَّ الإِنْسانَ، وَلَوْ سَمِعهَا الإِنسانُ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الفتنةِ إِمَّا نَعِيمٌ وإِمَّا عَذَابٌ، إِلى أنْ[١] تقُومَ القِيامَةُ الكُبرَى، فتُعادَ الأرْوَاحُ إلى الأجْسَادِ.

وَتَقُومُ القِيامَةُ الَّتِي أَخبرَ اللهُ بِهَا فِي «كِتَابِهِ»، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وأَجمَعَ عليها المُسْلِمُونَ، فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِم لرَبِّ العالمين حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً، وتَدنُو مِنهُمُ الشَّمسُ، ويُلْجِمُهُمُ العَرَقُ.

فَتُنْصَبُ الموازِينُ، فَتُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ العِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الأعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَه وَتَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الخلائِقَ، ويَخلُو بعَبْدِهِ المُؤْمِنِ، فيُقَرِّرُهُ بذُنُوبِهِ، كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي «الكِتَابِ والسُّنَّةِ».

وأَمَّا الكُفَّارُ؛ فَلا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وسيِّئاتُهُ؛ فَإِنَّه لاَ حَسَناتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدُّ أَعْمَالُهُم، فتُحْصَى فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا، وَيُقَرَّرُونَ بها. [ويُجْزَونَ بَهَا][٢].

(١) في إحدى النسخ: «إلى يوم القيامة الكبرى».

(٢) ما بين معقوفين ساقط من بعض النسخ، وفي إحدى النسخ: (ويخزون). بالفوقية.

[حوضُ النَّبيِّ ﷺ ومَكانُهُ وصِفاتُهُ]

وَفِي عرَصَاتِ القِيامَةِ: «الحَوْضُ» المَورُودُ للنَّبيِّ ﷺ مَاؤُهُ أَشدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبنِ، وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُوم السَّماءِ، طُولُه شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبْ مِنْه[1] شَرْبَةً، لا يَظْمَأْ بَعْدَها أَبَدًا.

[الصِّرَاطُ: مَعْنَاهُ ومَكَانُهُ وصِفَةُ مُرُورِ النَّاسِ عَلَيْهِ]

وَ«الصِّراطُ» مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الجِسْرُ الَّذي بَيْنَ الجنَّةِ وَالنَّارِ، يمُرُّ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِم، فَمِنْهُم مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البَصَرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمرُّ كَالبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمرُّ كَرِكَابِ الإِبِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلقَى فِي جَهَنَّمَ فَإِنَّ الجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ.

[القَنْطَرَةُ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ]

فَمَنْ مَرَّ عَلَى «الصِّرَاطِ» دَخَلَ الجنَّةَ. فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْه، وُقِفُوا عَلَى قَنْطَرةٍ بَيْنَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيُقتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ

(١) في إحدى النسخ: «من شرب».

الجنَّةِ .

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الجنَّةِ : مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنَّةَ مِنَ الأُمَمِ : أُمَّتُهُ.

[شَفَاعَاتُ النَّبِيِّ ﷺ]

وَلَهُ ﷺ فِي القِيَامَةِ ثَلاثُ شَفَاعَاتٍ :

أَمَّا الشَّفَاعَةُ الأُولَى : فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ المَوْقِفِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَهُم بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الأَنْبِيَاءُ: آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْراهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَنِ الشَّفَاعَةِ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ : فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلُوا الجَنَّةَ .

وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ .

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ : فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشفَعُ فِيمَنْ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلاَّ يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَها أَنْ يَخْرجَ مِنْهَا .

[إِخْرَاجُ اللهِ بَعْضَ العُصَاةِ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِهِ، وَبِغَيْرِ شَفَاعَةٍ]

وَيُخْرِجُ اللهُ مِنَ النَّارِ أَقْوامًا بغيرِ شَفَاعَةٍ، بَلْ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيَبْقَى فِي الجنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا، فَيُنْشِىء اللهُ لَهَا أَقْوامًا، فَيُدْخِلُهُمُ

الجنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَضَمَّنَتْهُ الدَّارُ الآخِرَةُ مِنَ الحِسَابِ والثَّوَابِ والعِقَابِ والجَنَّةِ والنَّارِ، وتفَاصِيلُ ذَلِكَ مَذْكُورَةٌ فِي «الكُتُبِ المنزَّلَةِ» مِنَ السَّمَاءِ، و«الآثَارِ» مِنَ العِلْمِ المَأْثُورِ عَنِ الأَنْبِيَاءِ، وَفِي «العِلْمِ المَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ» مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي ويَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

[الإيمَانُ بالقَدَرِ، وَمَراتِبُ القَدَرِ]

وَتُؤْمِنُ الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

والإيمانُ بالقَدَرِ عَلَى دَرَجَتَيْنِ، كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ(١).

فَالدَّرَجَةُ الأُولَى: الإيمَانُ بأَنَّ اللهَ تَعالَى عَلِيمٌ بالخَلْقِ، وَهُمْ عَامِلُون بعِلْمِهِ القَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلاً وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ والمَعَاصِي والأَرْزَاقِ والآجَالِ، ثُمَّ كَتَبَ اللهُ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الخَلْقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: مَا أَكْتُب؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

فَمَا أَصَابَ الإِنسَانَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ

---

(١) وحاصل ذلك أربعة أمور، وهي ما تُعرف بـ«مراتب القدر». وقد ذكر في الدرجة الأولى: مرتبتي: العلم والكتابة، وذكر في الدرجة الثانية: مرتبتي المشيئة والخلق. وتسمية هذه الأمور بـ: «مراتب القدر» أو «درجات القدر». وتصنيفها إلى أربعة مراتب، أو على درجتين، كل ذلك من الأمور الاصطلاحية، والمراد واحد، والله أعلم.

الأَقْلامُ، وطُوِيَتِ الصُّحُفُ، كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

وَهَذَا التَّقْديرُ التَّابعُ لعِلْمِه سُبْحانَه يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصيلاً:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

وَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الجْنَينِ قَبْلَ نفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، بَعَثَ إليه مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِماتٍ، فيُقَالُ لَهُ: اكتُبْ: رِزْقَهُ، وأَجَلَه، وعَمَلَهُ، وَشقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ. وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا التَّقْديرُ قَدْ كَانَ يُنكِرهُ غُلاةُ «القَدَرِيَّةِ» قَدِيمًا، وَمُنْكِرُوهُ اليَوْمَ قَلِيلٌ.

وأَمَّا الدَّرجةُ الثَّانِيَةُ: فَهِيَ مَشِيئةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وقُدرتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الإيمانُ بأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلاَ سُكُونٍ إلاَّ بمَشِيئة اللهِ سُبْحَانَهُ، لاَ يَكُونُ فِي مُلْكِه مَا لاَ يُرِيدُ، وأَنَّه سُبْحَانَه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ والمعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ إلاَّ اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَه، لاَ خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَمَرَ العِبادَ بطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ - سُبْحَانَهُ- يُحِبُّ المتَّقِينَ وَالمُحْسِنينَ والمُقْسطِينَ، وَيَرْضَى عَنِ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ، وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِه الكُفْرَ، وَلاَ يُحِبُّ الفَسَادَ.

وَالعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

وَالعَبدُ: هُوَ المُؤْمِنُ، والكَافِرُ، والبَرُّ، والفَاجِرُ، والمُصَلِّي، والصَّائِمُ.

وَللعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَى أَعْمَالِهِم، وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، واللهُ خَالِقُهُمْ وَقُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ القَدرِ يُكَذِّبُ بها عامَّةُ «القَدَرِيَّةِ» الَّذين سَمَّاهُمُ النَّبيُّ ﷺ «مَجُوسَ» هذهِ الأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أهلِ الإِثْبَاتِ، حَتَّى سَلَبوا العبدَ قُدرتَهُ واختِيَارَهُ، ويُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَها وَمَصَالِحَهَا.

[حَقِيقَةُ الإِيمانِ وَحُكْمُ مُرْتَكِبِ الكَبِيرَةِ]

وَمِنْ أُصُولِ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَة»: أَنَّ الدِّينَ والإيمانَ قَولٌ وعَمَلٌ، قَولُ القَلبِ واللِّسانِ، وَعَمَلُ القَلبِ واللِّسانِ وَالجَوارِحِ.

وأَنَّ الإِيمانَ يزيدُ بالطَّاعَةِ، ويَنْقُصُ بالمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لاَ يُكَفِّرُونَ «أَهْلَ القِبْلَةِ» بِمُطْلَقِ المعاصِي والكَبَائِرِ ـ كَمَا يَفْعَلُهُ «الخَوَارِجُ» ـ بَلِ الأُخوَّةُ الإِيمانِيَّةُ ثابتَةٌ مَعَ المعَاصِي؛ كَمَا قَالَ ـ سُبْحانَهُ ـ فِي آيةِ القِصاصِ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨]. وقَالَ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾

[الحجرات: ٩، ١٠]

ولا يَسْلُبونَ الفاسِقَ المِلِّيَّ[1] الإسلامَ بالكُلِّيَّةِ، ولا يُخَلِّدونَه فِي النَّارِ؛ كما تَقُولُ «المُعتزِلَةُ».

بَلِ الفاسِقُ يَدْخُلُ في اسْمِ الإيمانِ؛ كَمَا فِي قَوْلِه: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢]، وَقَدْ لا يَدخُلُ في اسْمِ الإيمانِ المُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، وَقَولِهِ ﷺ: **«لا يَزْني الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يَسرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يشرَبُ الخَمرَ حِينَ يَشْرَبُها وَهُوَ مُؤمِنٌ، ولا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذاتَ شَرَفٍ يرفَعُ النَّاسُ إليهِ فِيهَا أَبْصارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**.

وَنَقُولُ: هُوَ مُؤْمِنٌ ناقِصُ الإيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فاسِقٌ بِكَبِيرتِهِ، فَلا يُعطَى الاسْمَ المُطْلَقَ، وَلا يُسْلَبُ مطْلَقَ الاسْمِ.

[الواجِبُ نَحْوَ الصَّحَابَةِ وَذِكْرُ فَضَائِلِهِم]

وَمِنْ أُصُولِ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ»: سَلامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قولِهِ:

---

(١) قوله: «المِلِّيّ»: يعني: المنتسب إلى «الملة»، الذي لم يخرج منها ا. هـ. من: «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين (ص ٥٨٣).

«لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ «الكِتَابُ» و«السُّنَّةُ» و«الإِجْمَاعُ» مِنْ فَضَائِلِهِم وَمَرَاتِبِهِمْ وَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ «الفَتْحِ» ـ وَهُوَ «صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ» ـ وَقَاتَلَ، عَلى مَنْ أنفقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ «المُهَاجِرِينَ» عَلَى «الأَنْصارِ».

وَيُؤْمِنُونَ بأَنَّ الله قَالَ لأَهْلِ بَدْرٍ ـ وَكَانُوا ثَلاثَ مِئَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ: **«اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»**.

وَبِأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بايَعَ تَحْتَ «الشَّجَرةِ» ـ كَمَا أَخبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ. بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وأَرْبَعِ مِئَةٍ.

وَيَشْهَدونَ بالجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ كَـ«العَشَرةِ»، وَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّون بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نبيِّهَا أَبو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ويُثَلِّثُون بعُثمانَ، ويُرَبِّعُونَ بعليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي البَيْعةِ.

[حُكْمُ تَقْدِيمِ عَليٍّ عَلَى عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما]:

مَعَ أَنَّ بَعْضَ «أَهْلِ السُّنَّةِ» كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا في عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ بَعْدَ اتِّفَاقِهِم عَلَى تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ ـ أَيُّهما أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ، وسَكَتُوا، وَرَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقدَّمَ قَوْمٌ عليًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ السُّنَّةِ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ المَسْأَلَةُ ـ مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ـ لَيْسَتْ مِنَ الأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ المُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ «أَهْلِ السُّنَّةِ».

وَلَكِنَّ الَّتِي يُضَلَّلُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الخِلافَةِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ أَنَّ الخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلاءِ [الأَئِمَّةِ][1] فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

[مَنزِلَةُ أَهْلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ عِنْدَ «أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ»]

وَيُحِبُّونَ «آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِم وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ يَومَ «غَدِيرِ خُمٍّ»: **«أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»**.

وَقَالَ أَيْضًا لِلعَبَّاسِ عَمِّهِ ـ وَقَدِ اشْتَكَى إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هاشِمٍ ـ فَقَالَ: **«والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي»**.

وَقَالَ: **«إِنَّ اللهَ اصْطَفَى بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»**.

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الآخِرَةِ.

خُصُوصًا خَدِيجَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْها ـ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلاَدِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وعَاضَدَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ المَنْزِلَةُ العَالِيَةُ.

(١) ما بين معقوفين لم يرد في بعض النسخ.

وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عنها، الَّتي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ**».

[تبرُّؤ «أهلِ السُّنَّةِ والجمَاعَةِ» ممَّا يقولُهُ أهلُ البِدَعِ والضَّلالَةِ فِي حَقِّ «الصَّحَابَةِ» وَ«آلِ البَيْتِ»]

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ «الرَّوافِضِ» الَّذِينَ يُبْغِضُونَ «الصَّحَابَةَ» ويَسُبُّونَهُم، وَطَرِيقَةِ النَّواصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ «أَهْلَ البَيْتِ» بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحابَةِ، وَيَقُولُونَ: إنَّ هَذِهِ الآثارَ المَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَالصَّحِيحُ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبائِرِ الإثْمِ وَصَغَائِرِهِ، بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنوبُ فِي الجُمْلَةِ، وَلَهُمْ مِنَ السَّوابِقِ وَالفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ ما يَصْدُرُ مِنْهُمْ -إن صَدَرَ-، حتَّى إنَّهُمْ يُغفَرُ لَهمُ مِنَ السَّيئاتِ مَا لاَ يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأنَّ لَهُمْ مِنَ الحَسَناتِ التي تَمحُو السَّيِّئاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُم خَيْرُ القُرُونِ، وأَنَّ المُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أفضلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُم إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ أَحَدِهِم ذَنْبٌ، فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَى بِحَسَنَاتٍ

تَمْحُوهُ، أَوْ غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ محمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوِ ابْتُلِيَ بِبَلاَءٍ فِي الدُّنيا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ المُحَقَّقَةِ، فَكَيْفَ بِالأُمورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا فَلَهُم أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤوا فَلَهُم أَجْرٌ وَاحِدٌ، والخَطَأُ مَغْفورٌ؟!

ثُمَّ إِنَّ القَدْرَ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِم قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْفُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ القَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الإِيمانِ باللهِ، وَرَسولِهِ ﷺ، والجهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالهِجْرَةِ وَالنُّصْرَةِ، وَالعِلْمِ النَافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرةِ القَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ، عَلِمَ يقينًا أَنَّهم خَيْرُ الخَلْقِ بَعْدَ الأَنبياءِ، لاَ كانَ وَلاَ يَكُونُ مِثْلُهُم، وأَنَّهُمُ الصَّفْوةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ التي هِيَ خَيرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُها عَلَى اللهِ.

[مَوْقِفُ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ» فِي «كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاءِ»]

وَمِنْ أُصُولِ «أَهْلِ السُّنَّةِ»: التَّصْديقُ بِكَرَامَاتِ الأَوْلِياءِ، وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوارِقِ العَادَاتِ، فِي أَنْوَاعِ العُلُومِ والمُكَاشَفَاتِ، وأَنْواعِ القُدْرَةِ والتَّأْثيراتِ، والمَأْثورِ عَنْ سَالِفِ الأُمَمِ في «سُورَةِ الكَهْفِ» وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعينَ وَسَائِرِ [قُرونِ][1] الأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

(١) في كثير من الطبعات: (وسائر فرق الأمة).

[صِفَاتُ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ»]

ثُمَّ مِنْ طَرِيقَةِ «أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ»: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتبَاعُ سَبِيلِ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ «المُهَاجِرِينَ» و«الأَنْصَارِ»، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِسنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّو عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»**.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الكَلَامِ «كَلَامُ اللهِ»، وَخَيْرَ الهَدْي «هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ»، وَيُؤْثِرونَ «كَلَامَ اللهِ» عَلَى غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أصنَافِ النَّاسِ، ويُقَدِّمُون «هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ» عَلَى هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ.

وَلِهَذَا سُمُّوا: «أَهْلَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ»، وسُمُّوا: «أَهْلَ الجَمَاعَةِ»؛ لأَنَّ الجَمَاعَةَ؛ هِيَ الاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا: الفُرْقَةُ، وإِنْ كَانَ لَفْظُ «الجَمَاعَةِ» قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ القَوْمِ المُجْتَمِعِينَ.

و«الإِجْماعُ» هُوَ الأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي العِلْمِ والدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الأُصُولِ الثَّلاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بالدِّينِ.

وَ«الإِجْمَاعُ» الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ، إِذْ بَعْدَهم كَثُرَ الاخْتِلافُ، وانْتَشَرَ فِي الأُمَّةِ.

[بَيَانُ مُكَمِّلاتِ العَقِيدَةِ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمَحَاسِنِ الأَعْمَالِ الّتِي يَتَحَلَّى بِهَا «أَهْلُ السُّنَّةِ»]

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الأُصُولِ يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ، ويَنهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ؛ عَلَى مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيرَوْنَ إِقَامَةَ الحَجِّ والجِهَادِ والجُمَعِ والأَعْيَادِ مَعَ الأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الجَمَاعَاتِ.

ويَدِينُونَ بالنَّصِيحَةِ لِلأُمَّةِ، ويَعْتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: **«المُؤْمِنُ للمُؤْمِنِ كالبُنْيَانِ المَرْصُوصِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**. وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ». وَقَوْلِهِ ﷺ: **«مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالحُمَّى وَالسَّهَرِ»**.

وَيَأْمُرُونَ بالصَّبرِ عندَ البَلاءِ، والشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ القَضَاء.

وَيَدْعُونَ إِلَى مَكارِمِ الأَخلاقِ، وَمَحاسِنِ الأَعْمَالِ، وَيَعتَقِدُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: **«أَكمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»**، وَيَنْدُبونَ إِلى أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَيَأْمُرُونَ ببِرِّ الوالدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وحُسْنِ الجِوَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بالمَمْلُوكِ، وينهَوْنَ عَنِ الفَخْرِ، وَالخُيَلاَءِ، وَالبَغْيِ، وَالاسْتِطَالَةِ عَلَى الخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بغَيْرِ حَقٍّ، وَيَأْمُرونَ بمَعَالي الأَخْلاَقِ، وَينهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.

وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ أَوْ يَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ، فإنَّما هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ «لِلْكِتَابِ»

وَ«السُّنَّةِ»، وَطَريقَتُهُمْ هِيَ دِينُ الإِسْلامِ الَّذي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ.

لَكِنْ لمَّا أخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلى «ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ» فِرْقَةً، كُلُّها فِي النَّارِ؛ إِلاَّ وَاحِدَةً، وَهِيَ «الجَمَاعَةُ». وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قال: **«هُم مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وأَصْحَابِي»**؛ صَارَ المُتَمَسِّكُونَ بالإِسْلامِ المَحْضِ الخَالِصِ عَنِ الشَّوبِ هُمْ «أَهْلَ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ».

وَفِيهِم الصِّدِّيقُونَ، والشُّهَداءُ، والصَّالِحُونَ، وَمِنْهُم أَعْلامُ الهَدَى، ومَصَابِيحُ الدُّجَى، أُولُو المَنَاقِبِ المَأْثُورَةِ، والفَضَائِلِ المَذْكُورَةِ وَفِيهِمُ الأَبْدَالُ، وَفِيهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ، الَّذِينَ قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الحَقِّ مَنْصُورةً، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعةُ»**.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنا مِنهمُ وَأَلاَّ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمةً إِنَّه هُوَ الوَهَّابُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى محمَّدٍ وآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

* * *